المبحث الخامس
موقف المبتدعة قديماً وحديثاً من أحاديث المغفرة لمرتكب الكبيرة والرد عليهم

طعن المبتدعة من المعتزلة وغيرهم فى أحاديث المغفرة لأهل الكبائر يوم القيامة، لتعارضه مع أصلهم السابق "العدل"، وقولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله، ولتعارضه مع أحد أصولهم الخمسة **وهو"الوعد والوعيد" ومرادهم به**:أنه يجب على الله إثابة الطائع الذى وعده بالثواب،وعقاب العاصى الذى أوعده بالعقاب،ولا يخلف الله وعيده؛لأنه ذم وقبح[1]0

ولتعارضه أيضاً مع قولهم فى مرتكب الكبيرة بأنه فى منزلة بين المنزلتين، وهو أيضاً أحد أصولهم الخمسة، **ومرادهم به** أن مرتكب الكبيرة منزلته "الفسق" بين المنزلتين "الإيمان، والكفر" وهو بهذه المنزلة خالد مخلد فى النار إذا لم يتب من كبيرته، وحاله فى العقاب دون الكافر، فعقابه أخف ولكنه مع ذلك مؤبد فيها"[2]0

ومن أصولهم السابقة طعنوا فى أحاديث الشفاعة، كما طعنوا فى الأحاديث التى تصف مرتكب الكبيرة – وإن لم يتب – بأنه تحت المشيئة "إن شاء غفر الله له، وإن شاء عذبه" لتعارضها مع قولهم : "وجوب تنفيذ الله وعيده على العاصى 0

---

[1] () انظر : شرح الأصول ص 125، 611 وما بعدها، والملل والنحل 1/42، وآراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً للدكتور على بن سعد بن صالح ص 123 0

[2] () انظر : فضل الاعتزال 210، 350، ومقالات الإسلاميين 1/334، والملل والنحل 1/45 0

وقولهم : إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد فى النار إن لم يتب من كبيرته 0

واعتبروا مثل هذه الأحاديث فيها خلف للوعيد من الله وهو عندهم ذم وقبح 0 **قال القاضى عبد الجبار :** "من زعم أن خلف الوعيد كرم، وأن الله يمكن أن يخلف فى وعيده، كفر، لأنه أضاف القبيح إلى الله تعالى"[1] أ 0هـ 0

والجـواب :

إن إنفاذ الوعيد، والوجوب على الله، الذى دندن به المعتزلة، وقال به أعداء السنة[2]، وخلدوا به صاحب الكبيرة فى النار، إنما هو أمر عقلى محض لا سند له من النصوص، ولا من العقول السليمة 0

فمن أين للعقول أن توجب وتحرم عليه سبحانه، وكيف علمت أنه يجب عليه أن يمدح ويذم،ويثيب ويعاقب على الفعل، وأنه رضى عن فاعل، وسخط على فاعل؟

وهل ذلك إلا غيب عنا،وإقحام للعقل فيما لا علم له، وتجنى على نصوص الشرع، وقياس لله بخلقه فى أفعاله 0

وهل كل ما حسن من الخلق حسن منه،وما قبح منهم قبح منه؟أم هو القياس الفاسد أيضاً؟[3]

ولا شك أن الله وعد الطائعين بالثواب، وأوعد العاصين بالعقاب، وما وعد به عباده الطائعين لابد من تحققه، كرماً منه سبحانه وفضلاً، لأنه لا

---

1 () انظر : شرح الأصول ص 125، 132، 666، 667 0
2 () انظر : المسلم العاصى لأحمد صبحى منصور ص 14 –30 0
3 () مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص 51، 52، وراجع ما سبق فى الجواب عن طعن المعتزلة فى أحاديث القدر ص 767–774 0

يخلف الميعاد كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[2] وليس معنى ذلك أن العباد يستحقون دخول الجنة على ربهم بأعمالهم كما يزعم أهل الاعتزال، بل إنما يدخلهم الجنة برحمته وفضله، كما قال ﷺ : **"لن يدخل أحداً عمله الجنة"، قالوا:ولا أنت يا رسول الله؟ قال:"ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة...فسددوا وقاربوا"** الحديث[3]، وذلك بخلاف الوعيد، فإن خلفه مدح لا ذم، ويجوز عليه سبحانه أن يخلف وعيده، لأنه حقه، فإخلافه له عفو وكرم، وجود، وإحسان، ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله ﷺ، حيث قال :

"نبئت أن رسول الله ** والعفو عند رسول الله مأمول[4]0
أوعدنى *

---

1 () الآية 31 من سورة الرعد 0
2 () الآية 194 من سورة آل عمران 0
3 () أخرجه البخارى(بشرح فتح البارى) كتاب، باب تمنى المريض الموت 10/132،133رقم 5673، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى 9/174 رقم 2816 من حديث أبى هريرة ﷺ
4 () انظر:لوامع الأنوار البهية 1/370، وانظر : شرح ديوان كعب بن زهير للحسن السكرى ص 19

والعرب لا تعد عاراً ولا خُلْفاً، أن تَعِد شراً ثم لا تفعل، ترى ذلك كرماً وفضلاً، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعل، ومن ذلك قول القائل :

ولا أختتى[1] من صولة المتهدد *** لا يرهب ابن العم منى صولـة
*** لأخلف إ يعادى وأنجز موعدي[2]

وإنـى أن أوعدتـه أو وعدتـه

وفى الحديث عن زيد بن ثابت مرفوعاً : **"لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم 0 ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم"[3]0**

أما ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من أن الكبيرة الواحدة تسقط جميع ما لصاحب الكبيرة من ثواب، لأنه لا ثواب البته يستحقه الإنسان مع وجود الكبيرة[4]، **ويستلزم على هذا حبط إيمانه حيث حكموا عليه بالخلود فى النار، وإن لم يحكم عليه المعتزلة بالكفر فى الدنيا فقد صرح بذلك الخوارج فأصبح الخلاف بينهم لفظى[5]0**

---

1 () أختتى : أى اتصاغر وأنكسر، انظر : لسان العرب 2/28 0

2 () انظر:أخبار عمرو بن عبيد للدارقطنى ص 14،وموقف المدرسة العقلية من السنة 1/368،369 0

3 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب فى القدر 4/225 رقم 4699، وابن ماجة فى سننه كتاب القدر، باب فى القدر 1/41،42 رقم 77 0

4 () انظر شرح الأصول ص 691، ومقالات الإسلاميين 1/332 0

5 () شرح الطحاوية 2/99، 100 0

هذا الذى ذهبوا إليه نوع من الظلم الذى نزه الله نفسه عنه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]0

وهو مخالف لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فى أن مرتكب الكبيرة مسلم عاصى، غير خالد مخلد فى النار، وهو تحت المشيئة "إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه" يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[2] فالآية صريحة فى أن الغفران المعلق بالمشيئة شامل لجميع الذنوب، كبائر كانت أو صغائر، ولم يستثن المولى ﷻ سوى كبيرة الشرك به تعالى[3]0

وفى هذا رد على قولهم المراد بالمغفرة صغائر المعاصى[4]0

وقال ﷺ:"ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة"قال أبو ذر ﷺ، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال "وإن زنى وإن سرق" -ثلاثاً- ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر" قال فخرج أبو ذر وهو يقول : "وإن رغم أنف أبى ذر"[5]0

---

1 () الآية 40 من سورة النساء، وانظر : مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية 2/26 رقم 183 0

2 () الآية 116 من سورة النساء 0

3 () انظر : جامع البيان 5/126، والجامع لأحكام القرآن 5/245، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها 2/839 0

4 () انظر : فضل الاعتزال ص 154 0

5 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجنائز، باب فى الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله 3/1237 رقم 332، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار 1/370، 371 رقم 94 واللفظ له 0

وفى حديث عبادة بن الصامت : أنه قال وحوله عصابة من أصحابه : **"بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم،ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله؛ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"**0 فبايعناه على ذلك[1]0

والأدلة على أن صاحب الكبيرة "مسلم عاصى" وتحت المشيئة وغير خالد مخلد فى النار كثيرة جداً0 والأحاديث فى ذلك متواترة[2]0

وأقوال أهل العلم فى ذلك كثيرة نقتصر على قول جامع للإمام النووى – رحمه الله – إذ يقول : "واعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق من السلف والخلف، أن من مات موحداً، دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصى، كالصغير، والمجنون، والذى اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصى إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذى لم يبتل بمعصيةٍ أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلاً ... وأما من كانت له معصية كبيرة، ومات من غير توبة، فهو فى مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذى يريده سبحانه وتعالى، ثم يدخله الجنة، فلا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد،ولو عمل من المعاصى ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر،ولو عمل من أعمال البر ما عمل 0

---

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان 1/81 رقم 18 واللفظ له، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها 6/238، 239 رقم 1709 0

2 () انظر : الشفاعة لمقبل بن هادى، وموقف المدرسة العقلية من السنة 1/360 – 362 0

هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق فى هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب، والسنة، وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القا عدة، و تواترت بذلك ن صوص تح صل العـ لم القط عى[1] أ 0هـ 0

أما ما استدل به المعتزلة وغيرهم من الكتاب والسنة على تخليد صاحب الكبيرة فى النار كقوله تعالى: [illegible] [2] وقوله ﷺ : **لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا نمام، ولا عاق**"[3]0 وقوله ﷺ : "**من قتل نفسه بحديده، فحديدته فى يده يَتَوَجَّأُ بها بطنه فى نار جهنم خالداً أبداً**"[4] أ 0هـ 0 إلى غير ذلك من الأخبار المروية فى هذا الباب، واستدلوا بها على تخليد صاحب الكبيرة[5]0

هذه الأخبار التى استدلوا بها على تخليد مرتكب الكبيرة فى النار؛ لا حجة لهم فيها فهى من نصوص الوعيد التى وجهها السلف توجيهاً يتفق ونصوص الوعد الأخرى التى غض عنها المعتزلة الطرف،وهذا من شأن أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص ما يظنون أنه يوافق بدعهم،ويتركون غيرها مما يخالف تلك البدع 0وهكذا فعل أهل الاعتزال فى هذا المقام 0

---

1 () المنهاج شرح مسلم 1/255، 256 أرقام 26-33 0

2 () الآية 93 من سورة النساء 0

3 () أخرجه النسائى فسننه كتاب الزكاة،باب المنان بما أعطى 5/80رقم 2562،وأحمد فىالمسند وذكر بدل المنان : الديوث الذى يقر فى أهله الخبث 2/69، 128، 134 من حديث ابن عمر 0ﷺ

4 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به ...إلخ 8/258 رقم 5778 ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه 1/395 رقم 109 من حديث أبى هريرة 0ﷺ

5 () انظر : شرح الأصول ص 657، 663 0

وقد ذكر العلماء توجيهات عديدة فى هذه النصوص وأمثالها والمختار منها قولان:

أحدهما : أنها محمولة على من يستحل الكبيرة مع علمه بالتحريم، فهذا كافر مخلد فى النار ولا يدخل الجنة أصلاً0

والثانى : أنها محمولة على أن مرتكب الكبيرة جزاؤه أن لا يدخل الجنة وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر، ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولاً[1]0 والمراد بالخلود إذا عوقب، طول المدة والإقامة المتطاولة، لا حقيقة الدوام، كما فى قوله تعالى: [2] والعرب تقول:لأخلدن فلاناً فى السجن، والسجن ينقطع ويزول، وكذلك من سجن، ومثله قولهم فى الدعاء : خلد الله ملكه، وأبد أيامه[3]0

وهناك قول ثالث : وهو أن نصوص الوعيد الواردة فى الآيات، والأخبار فى حق مرتكب الكبيرة، هذا الوعيد جزاؤه، ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد فى النار من مات مسلماً"[4]، وقد دلت الأحاديث على ذلك منها قوله : **"إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار يقول الله : من كان فى قلبه مثال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا[5]،وعادوا حمماً[6]، فيلقون فى نهر الحياة،**

---

1 () المنهاج شرح مسلم 1/369 رقم 91 بتصرف 0

2 () الآية 34 من سورة الأنبياء 0

3 () الجامع لأحكام القرآن 5/335، وانظر:المنهاج شرح مسلم 10/402، 403 رقم 109 0

4 () انظر : المنهاج شرح مسلم 1/369 رقم 1/391 رقم 105 0

5 () امتحشوا : أى احترقوا 0 والمحش : احتراق الجلد، وظهور العظم 0 انظر : النهاية فى غريب الحديث 4/302 0

6 () حمماً : أى صاروا سود الأجساد كالحمم وهو الفحم انظر : النهاية فى غريب الحديث 1/444

فينبتون كما تُنْبُتُ الحبةُ فى حَميل السَّيل، أو قال حَمِيَّةِ السَّيل" وقال النبى : "ألم تَروا أنها تَنبتُ صفراء مُلتوية؟"[1]0

وقد دلت الأحاديث أيضاً أن قاتل نفسه لا يخلد فى النار، روى الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى فقال : يا رسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة؟ (قال : حصن كان لدوس فى الجاهلية) فأبى ذلك النبى للذى ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبى إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه 0 فاجْتَوَوا المدينة 0 فَمَرِضَ، فَجَزِع، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ[2] له فقطع بها بَرَاجَمه فَشَخَبَتْ[3] يداهُ حتى مَاتَ، فَرَآهُ الطفيل بنَ عمرو فى منامه 0 فرآه وهيئته حسنة، ورآهُ مغطِّياً يَدَيْهِ، فَقَالَ له : ما صنع بك رُّبكَ؟ فقال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه ، فقال : مالى أَرَاك مُغَطِّياً يديك؟ قال : قيل لى لن نُصْلِحَ منك ما أفسدتَ، فقصها الطفيل على رسول الله فقال رسول الله : **"اللهم وَلِيديهِ فاغفر"[4]0**

قال الإمام النووى -رحمه الله- : "ففيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة، أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها، ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو فى حكم المشيئة، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها، وهذا الحديث شرح للأحاديث التى قبله، الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس، وغيره من أصحاب الكبائر فى النار، وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصى، فإن هذا عوقب فى يديه، ففيه رد على المرجئة[5]،

---

1 () أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار 11/424رقم 6560

2 () مشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض 0 انظر : النهاية فى غريب الحديث 2/490 0

3 () شخبت:أى سالت من الشخب، وهو السيلان انظر:النهاية فى غريب الحديث 2/450 0

4 () مسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر 1/407 رقم 116

5 () المرجئة : من الإرجاء وهو التأخير، والمرجئة لقب أطلق على طائفة تؤخر العمل عن الإيمان، بمعنى أنـهم لا يدخلون العمل فى مسمى الإيمان، وقصروا الإيمان على المعرفة 0 وأكثرهم يرى أن الإيمان لا يتبعض، ولا يزيد ولا ينقص، وزعم بعضهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة أ0هـ انظر : مقالات الإسلاميين 1/132، الملل والنحل

القائلين بأن المعاصى لا تضر مع الإيمان، كما لا ينفع مع الكفر طاعة"[6] أ0هـ 0

وإذا تقرر أن مرتكب الكبيرة، مسلم عاصى، تحت مشيئة ربه إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، فلا وجه لإنكار أعداء السنة لشفاعة النبى ، لأهل الكبائر من أمته 0

فإلى بيان شبههم حول الحديث والرد عليها فى المبحث التالى 0

---

6 () المنهاج شرح مسلم 1/409 رقم 116 بتصرف يسير، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/374-378 0
1/137، وانظر : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام 2/743 0

المبحث السادس
شبه الطاعنين فى حديث الشفاعة والرد عليهم

إن تشبث المعتزلة بأصلهم الوعد والوعيد، ووجوب تحقيق الوعيد فى حق مرتكب الكبيرة بتخليده فى النار، أدى بهم إلى نفى الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة 0

قال عبد الجبار : "الشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم، ولم يتوبوا لا تجوز، بل مثالها مثال الشفاعة لمن قتل ولد الغير، وظل يتربص للآخر حتى يقتله، فكما أن هذا قبيح فهى قبيحة أيضاً ... والنبى ، لا يشفع لصاحب كبيرة، ولا يجوز له ذلك لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيحة ... والفاسق إنما يستحق العقوبة على الدوام، فكيف يخرج من النار بشفاعته [1]0

وقد رد المعتزلة أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر بدعوى تعارضها مع القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبدعوى أنها خبر آحاد، ومسألة الشفاعة طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به[2]0

وما صح من أحاديث الشفاعة أطلق عليها عبد الجبار حكماً عاماً وهو أن أكثرها مضطرب"[3]0

ومما استدلوا به فى إنكار الشفاعة قوله تعالى : [illegible] وقوله [4]

---

[1] () انظر : شرح الأصول ص 688، 689 بتصرف يسير وانظر : فضل الاعتزال ص 209 0
[2] () انظر : شرح الأصول ص 690 0
[3] () انظر : فضل الاعتزال ص 298 0
[4] () الآية 48 من سورة البقرة 0

تعالى : ﴿ ﴾[5] ونحو ذلك من الآيات، واستدلوا على دعوى التعارض مع السنة المطهرة بما سبق من حديث **لا يدخل الجنة نمام ...الحديث" وحديث "من قتل نفسه بحديدة ... الحديث**"[2]0

وبشبهات المعتزلة استدل دعاة اللادينية فى عصرنا[3]0

ويجاب عن شبههم بما يلى :

أولاً : الأحاديث فى إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة صحيحة فى الصحيحين، والسنن، والمسانيد وغيرها 0 وقد نص جماعة من العلماء على أنها تبلغ حد التواتر المعنوى[4] فزعمهم بأن الأحاديث أكثرها مضطرب 0 حجة واهية، وزعم عار عن الصحة، لا يتفوه به إلا من جهل حديث النبى ، أو أغمض عينيه عنه[5]0

---

1 () جزء من الآية 18 من سورة غافر، وانظر : شرح الأصول ص 689 0

2 () الحديثان سبق تخريجهما ص 782، وانظر : شرح الأصول ص 691 0

3 () انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ص 190، والمسلم العاصى لأحمد صبحى 10-30، والأنبياء فى القرآن ص 65 وما بعدها، والأضواء القرآنية ص 258 – 264، والقرآن والحديث والإسلام ص 15-17، وإنذار من السماء 184-188، ودين السلطان ص 207، 208، 611، وتبصير الأمة بحقيقة السنة ص 608، 609، وانظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة للدكتور خادم حسين بخش ص 343 0

4 () انظر:نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 234 رقم 304،وشرح الطحاوية 1/312، ولوامع الأنوار البهية 2/208،218،وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 226

5 () انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/387 0

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة فى الشفاعة قوله : "**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى**"[1]، وزعمهم أن هذا الحديث لم تثبت صحته[2]، زعم مردود، لأن الحديث قد ثبتت صحته، وأيدته الأحاديث الثابتة كقوله : "**لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإننى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة 0 فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً**"[3] و قوله : "**أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**"[4]0

تقول الدكتورة عائشة يوسف المناعى : "اضطر المعتزلة إلى اللجوء إلى نقد الأخبار المعارضة التى تثبت الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين مثل قوله : "**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى**" فبرغم أن هذا الحديث ينص صراحة على أن الشفاعة لأهل الكبائر، وبرغم صحته فإن المعتزلة لا يتورعون أن يقفوا موقف التكذيب من هذا الخبر ويقولون : "إن

---

1 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب فى الشفاعة 4/236 رقم 4739، والترمذى فى سننه كتاب صفة القيامة، باب ما جاء فى الشفاعة 4/539، 540 رقم 2435 وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وفى الباب عن جابر، وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الإيمان 1/139 رقم 228، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبى 0 والحديث من رواية أنس بن مالك، وأخرج الحاكم للحديث متابعات وشواهد من حديث جابر، وصححها على شرط مسلم، ووافقه الذهبى 0 قال الحاكم : "هذا الحديث فيه قمع المبتدعة المفرقة بين الشفاعة لأهل الصغائر والكبائر، وأخرجه البيهقى فى البعث والنشور ص 55 رقم 1 من حديث جابر، وانظر:استدراكات البعث والنشور ص 173-177 أرقام 268-277، وشعب الإيمان 110/2-144 0

2 () انظر : شرح الأصول ص 690 0

3 () أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الدعوات، باب لكل نبى دعوة مستجابة 11/99 رقم 6304، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان باب اختباء النبى /

4 () سبق تخريجه ص 646، وانظر:ما قاله الإمام البيهقى فى البعث والنشور ص 56 وما بعدها 0

هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبى، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به"[1]0

ولسنا فى حاجة إلى أن نقول إن إجابة المعتزلة هذه تـنبنى على التحكم البحت، وفيها من عدم الدقة شئ كثير، فهم يفترضون مرة أن هذا الحديث غير صحيح، ويفترضون مرة أخرى أنه صحيح ولكنه آحاد وأن رأيهم فى هذه المسألة مبنى على العلم، مع أن قولهم فى هذه المسألة قول لا برهان عليه، بل إن الأقرب إلى العقل أن الشفاعة إذا لم تكن لأهل الكبائر بحيث تخرجهم من النار فإنها لا معنى لها ولا فائدة منها، والمكلف التائب مغفور له، وليس فى حاجة إلى الشفاعة، والنصوص صريحة فى أن التائب يبدل الله سيئاته حسنات، فكيف يحتاج إلى شفيع بعد ذلك؟

وإذا كانت معتزلة البصرة قد اعترفوا بجواز إسقاط العقاب ابتداء من الله تعالى؛ لأنه حقه،وهو يشبه الدين، فله أن يسقطه، وله أن يستوفيه، فالأولى أن يقال بإسقاط العقوبة ابتداء 0

فكيف يقرر المعتزلة بعد ذلك أن أصلهم فى الشفاعة مسألة علم لا يصح أن تعارضها أخبار الآحاد؟

ومن غريب تفسيرات المعتزلة أنهم يقولون أن التائب من الكبيرة تسقط عنه العقوبة بالتوبة، لكن الكبيرة قد أحبطت ما تحصل عنده من الثواب من قبل، فالشفاعة هنا تنفعه فى إعادة هذا الثواب[2]0

ولا شك أن كل هذه التأويلات إنما هى فى المقام الأول هروب من مواجهة النصوص الصريحة فى أن الشفاعة، إنما تكون لأهل الكبائر من المؤمنين، وتؤكد أن القضية مع المعتزلة وسائر

---

1 () شرح الأصول ص 690 0
2 () شرح الأصول ص 691 0

أهل البدع ليست قضية متواتر وآحاد، وإنما قضية أصولهم التى طوعوا النصوص قرأناً وسنة لأجلها 0

ومن الغريب أيضاً:"أن يقول أبو الهذيل:"إن الشافعة إنما تثبت لأصحاب الصغائر"[1]0

والمعتزلة أنفسهم قد سخروا من هذا القول؛ لأنهم قرروا من قبل أن الصغائر تكفرها الطاعات، فلا وجه للشفاعة فى هذا القول"[2]0

أما ما زعم المعتزلة ومن قال بقولهم أن أحاديث الشفاعة متعارضة مع القرآن الكريم 0

فدعوى مرفوضة؛ لأن ما استدلوا به على نفى الشفاعة، من الآيات القرآنية محمول على الشفاعة للمشركين، والكفار، وهؤلاء لا تنفعهم الشفاعة أصلاً كما دل على ذلك قوله تعالى: [illegible] **سَقَرَ** [illegible] **0**[3]

والمراد بذلك الشفاعة التى يثبتها أهل الشرك وأهل البدع، الذين يعتقدون أن الخلق يشفعون عند الله بغير إذن، كما يشفع بعضهم لبعض فى الدنيا[4]0

---

1 () المصدر السابق ص 691 0

2 () أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للدكتورة عائشة يوسف المناعى ص 345، 346 0

3 () الآيات 42-48 من سورة المدثر 0

4 () مجموع الفتاوى 149/1-150 بتصرف،وللاستزادة:فى الرد على استدلالات المعتزلة انظر:لوامع الأنوار البهية 2/217، والإنصاف للباقلانى ص 168-176، والأربعين فى أصول الدين للرازى ص 245، وشرح المقاصد للتفتازانى 2/175، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص 235 0

والشفاعة إنما تطلب من الله تعالى؛ لأنه هو المالك لها سبحانه كما قال تعالى : ﴿ [1]0

وأما الشفاعة المثبتة فهى لا تثبت عند السلف إلا بشروط وهى :

1- **الإذن للشافع بالشفاعة كما قال ﴿ :** ﴿ [2] وقال تعالى : ﴿ [3]0

2- **الرضا عن المشفوع فيه** 0 كما قال سبحانه : ﴿ [4] وقال: ﴿ [5] وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** ﴾ قال:"**الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله**"[6]0

وأما زعمهم دعوى تعارض أحاديث الشفاعة بحديث : **لا يدخل الجنة نمام ... الحديث**" وبحديث "**من قتل نفسه بحديدة** ..." الحديث 0

فقد سبق الجواب، بما يرفع التعارض، ويوفق بين النصوص[7]0

---

1 ( ) جزء من الآية 44 من سورة الزمر 0
2 ( ) جزء من الآية 255 من سورة البقرة 0
3 ( ) جزء من الآية 3 من سورة يونس 0
4 ( ) الآية 26 من سورة النجم 0
5 ( ) جزء من الآية 28 من سورة الأنبياء، وانظر:موقف المدرسة العقلية من السنة 395/1-396
6 ( ) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور ص 55 رقم 2 0
7 ( ) راجع : ص 782-784 0

وأما حملهم للحديث على أن المراد به شفاعة النبى ، لأهل الكبائر إذا تابوا[8]؛ فلا دليل لهم على ذلك 0 وهو مع أنه تأويل مناهض للنصوص الثابتة، ولا يدل عليه لفظ الحديث، فهو أيضاً معنى فاسد؛ لأن الذى يتوب من الذنب لا يوصف به بعد ذلك، بل يبدل الله

---

[8] () انظر : شرح الأصول ص 691 0

سيئاته حسنات فضلاً منه وكرماً قال تعالى : ﴿ ﴾[1] فصاحب الكبيرة إذا تاب عن كبيرته وصحت توبته زال عنه هذا الاسم[2]0

قال الصحابى الجليل جابر بن عبد الله : **"من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة"**[3]0

وما ذهب إليه بعضهم من حصر شفاعته ، على زيادة الثواب، ورفع الدرجات لأهل الثواب[4]0

مردود عليهم بما صرحت به الأحاديث الصحيحة من شفاعات أخرى له من ذلك:

I- **الشفاعة العظمى، الخاصة بنبينا ، دون سائر خلق الله** والواردة فى قوله تعالى : ﴿ ﴾[5] وفى ذلك يقول : **"أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ... إلى أن يقول : فيأتون محمد فيقولون : يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفْع تُشفع ..." الحديث**[6]0

---

1 ( ) الآية 70 من سورة الفرقان 0
2 ( ) انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/390 0
3 ( ) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الإيمان 1/140 رقم 232 0
4 ( ) انظر : الكشاف للزمخشرى 3/366 0
5 ( ) الآية 79 من سورة الإسراء 0
6 ( ) أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب التفسير، باب "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً" 8/247، 248 رقم 4712، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب أدنى

II- **شفاعته ﷺ لأمته فى دخول الجنة**:كما جاء فى حديث الشفاعة العظمى السابق،وفيه قال ﷺ : **فأقول أمتى يا رب، أمتى يا رب، فقال : يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**[1]0

ج- **شفاعته ﷺ للمؤمنين من أهل الكبائر** : وقد سبقت بعض النصوص التى تدل عليها0 وهى لا تختص به ﷺ وإنما يشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، كما روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن ناساً فى زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : **نعم قال : "هل تُضَارُّونَ فى رُؤية الشمس بالظهيرة صَحْواً ليس معها سَحَابُ؟" فذكر الحديث وفيه : "فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون0 ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ..." الحديث**[2]0

وله ﷺ شفاعات أخرى، منها ما يشاركه فيها غيره، ومنها ما يختص به[3] أ0هـ 0

---

1 () انظر : تخريج الحديث السابق 0

2 () أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية 2/25، 26 رقم 183، وانظر : استدراكات البعث والنشور للإمام البيهقى جمع الشيخ عامر حيدر ص 131-135 أرقام 207-213، والتذكرة للقرطبى 1/477 -483 أرقام 780-790 0

3 () انظر : استدراكات البعث والنشور ص 144-149 أرقام 230-238، وشرح العقيدة الطحاوية 1/307-315،ولوامع الأنوار البهية 2/211-212،والشفاعة لمقبل بن هادى ص 18،31،61، والتذكرة 1/483-483، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/390-394، وللاستزادة فى الرد على شبهات المعتزلة راجع موقف المدرسة العقلية من السنة 1/379 – 396 0 وضلالات منكرى السنة ص 512، والسنة فى مواجهة أعدائها ص 165-187 0

اللهـــم إنـــى اسألـــك شفاعـــات نبيـــك
وأبرأ إليك من جهل الجاهلين وإلحاد الملحدين
المنكرين لشفاعة سيد المرسلين